حصاد 2020

تغيّب الثقافة باعتبارها فضاء لتقديم اجتهادات فكرية ونصوص إبداعية لمواجهة مآزق مجتمعاتنا؛ فضاء تمّ تهميشه أردنياً وعربياً لعقود طويلة عبر خلق مواطن لا يمتلك أدوات التفكير النقدي، ولا يتذوق الفنون، ولم يقرأ نصاً أدبياً يتجاوز أربعينيات القرن الماضي

الأردن مشهد ثقافي لا حراك فيه
كورونا وسياسة وعالم افتراضي

عمّان ـ **محمود منير**

تنذر الأردنيون على شاب عشريني اسمه قتيبة سال رئيس الوزراء السابق على حسابه في تويتر إن كانت الأوضاع ستتحسن أم عليه البحث عن بلد يهاجر إليه، حيث تصدّر هاشتاغ منذ نحو عام جميع منصات التواصل الاجتماعي بدعوة الشباب إلى الهجرة. ليس في الأمر طرفة تُذكر، باستثناء أن هذا السؤال خرج للعلن ولم يكترث أحد لجواب الحكومة، فالردّ الشعبي أكثر صدقاً وإقناعاً.

يذهب المحللون والمعلّقون في وسائل الإعلام عادةً إلى معاينة الأزمات بوجهها السياسي وأرقامها وبياناتها المتعلّقة ببعدها الاقتصادي، وربما مزوا لماماً على تداعياتها الاجتماعية، ولا يُلتفت بطبيعة الحال إلى الثقافة باعتبارها فضاء لتقديم الاجتهادات الفكرية والنصوص الإبداعية لمواجهة مآزق مجتمعاتنا؛ فضاء تمّ تهميشه أردنياً وعربياً لعقود طويلة، وخير إثبات على ذلك قتيبة نفسه الذي لم يتلق في مدرسته أدوات التفكير النقدي، ولم يتواجه مع المسرح والموسيقى والفن التشكيلي، وبالطبع توقفت مناهج اللغة العربية عند نصوص تنتمي إلى أربعينيات القرن الماضي.

غرافيتي في عمّان (خليل مزراوي/Getty)

انحسرت ثقافة أجيال وراء أجيال ضمن حدود وقيود لا تعدّ ولا تحصى، حيث تغيب الفلسفة والمنطق والمعارف التي تقدّمها العلوم الاجتماعية والإنسانية وفق مناهجها الحديثة عن جميع مراحل الدراسة، كما تغيب الفنون، ما يعني انحدار نائقة ملايين المواطنين وافتقادهم الإبداع خارج المنظومة الرسمية التي تشجّع أشكالاً رديئة من الأغنية والشعر والكتابة.

هل يمكن مراجعة أحوال الثقافة خلال عام 2020 بمعزل عن هذه الاشتراطات التي أنتجت مشهداً لا وجود فيه لحراك حقيقي يمكن أن يقوده أفراد وقوى اجتماعية ومؤسسات أهلية تشكّل جزراً معزولة عن مكانها الذي يفترض أنها تعيش فيه، وعن سياقاتها الاجتماعية والاقتصادية الراهنة، وينصبّ تفكير هؤلاء الأطراف على إيجاد «اعتراف» بهم عبر الجوائز والتكريمات والأعطيات.

في غضون الأشهر الماضية، تبارى الكتّاب على نشر نصوصهم ويومياتهم في زمن كورونا على وسائط التواصل الاجتماعي، وفي ما تبقّى من صحافة ثقافية، كما صدرت عدّة كتب عن دور نشر جمعت تلك الكتابات في مؤلّف، وتحضر المفارقة أن معظم ما كُتب لا يشير إلى أن الجائحة حدثت الآن/ هنا؛ في هذه الجغرافيا وفي سنة 2020، وتعبّر عن أيّة جغرافيا في أي فترة زمنية، ويبدو أن أصحابها يحيون في مخبر ناءٍ وقصيّ ومعقم لا صلة له بالواقع المعيش، ناهيك عن ضعفٍ في المتخيّلة ومستواها الفني.

كشف الوباء مشكلات جذرية تعاني منها قطاعات عديدة، تشترك فيها مع معظم البلدان العربية، وفي مقدّمتها عدم قدرة الغالبريهات على تطوير آلية العرض افتراضياً واستخدام تقنية «360 درجة» التي تتيح تصوير مقتنياتها بطريقة تتيح تقديم مشهد بانورامي يشبه إلى حدّ كبير معاينتها في الواقع، كما لم تشهد السنة المنصرمة معرضاً لأحد للفنانين العرب والأردنيين المكرّسين، وهيمنت المعارض الجماعية التي تنظّم أغلبها دون قيمة محدّدة أو ناظم يجمع الأعمال المشاركة فيها.

> ينصبّ تفكير المثقف على «الاعتراف» به عبر جوائز وتكريمات
>
> معظم ما كُتب لا يشير إلى ان الجائحة تحدث الآن في هذا البلد

وغاب أيضاً الأرشيف الأردني في لحظة أغلقت خلالها المراكز والمؤسسات الثقافية، خلال فترة الحظر الشامل، وتنافست جميعها على العرض رقمياً في منصّاتها الإلكترونية، وكان ملاحظاً عدم عرض مئات الأعمال المسرحية التي يفترض أنه تمّ توثيقها في مهرجانات المسرح الثلاثة؛ للكبار والشباب والطفل، خلال ربع قرن مضى، ما يثير تساؤلات حول الذاكرة الثقافية طالما أن المحو أو الإهمال يطاول أحدث النتاجات كذلك.

ربما لم يستفزّ فيروس كوفيد - 19 أهل الثقافة بما يكفي لإعادة النظر بدورهم في تحديث المجتمع في مرحلة تشهد تراجعاً لهيبة الدولة وتصاعد الهويات الفرعية والمناطقية، وكان لافتاً أن خساراتهم وتراجع الاهتمام بما يقدّمون لا يهمّ سواهم في ظلّ حكومة غير منتخبة ولا تخضع للمحاسبة، وإضيف إلى ذلك كلّه قانون الدفاع الذي أقرّ مع بداية الجائحة، بما زاد من احتكار السلطة، حيث أصبح اتخاذ القرار محصوراً ضمن دائرة محدّدة، وليس متاحاً مناقشة استمراريته ومعرفة متى سينتهي العمل به.

وفق هذه المعادلة، لا ينفصل الإصلاح الثقافي عن السياسي، إذ كيف يمكن مناقشة أزمة النشر - على سبيل المثال - في ظلّ غياب استراتيجيات لتوطين القراءة بوصفها جزءاً فاعلاً في أية عملية تنمية تربط تطوّر قطاعات الصناعة والزراعة والصحة والبيئة وغيرها بتحديث المعرفة، وليس باستيرادها ومحاكاة تطبيقاتها فقط.

وليس بعيداً عن حديث الإصلاح، ينبغي الإشارة إلى انتخابات مجلس النواب التاسع عشر في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، حيث لم يخرج أي من المرشحين على اختلاف خلفياتهم السياسية عن التجاهل «المزمن» للثقافة التي تختفي تماماً في بيانات ترشيحهم، فلا نعثر فيها على مشروع قانون واحد ينظّم العمل الثقافي وحقوق المشتغلين فيه، والتي تتقدّم بها الحكومات دائماً حيث يبدو لافتاً حراك ومبادرات وزير الثقافة الحالي، باسم الطويسي، الذي يعكس وجهة نظر يصعب تطبيقها لسببين وجيهين؛ الأول يتعلق باحتمال التراجع عنها مع قدوم وزير جديد في بلد يبلغ عمر حكوماته حوالي العامين، والثاني يتعلق بقلّة كفاءة الجهاز البيروقراطي ووزارة الثقافة ليست استثناء.

من أبرز هذه المبادرات كانت عودة صندوق دعم الثقافة الذي يؤمل أن يؤسس لحركة وتنمية ثقافية مستدامة من خلال توفير تمويل للمشاريع من قبل القطاع الخاص، عبر تخصيص مبالغ تندرج في إطار المسؤولية الاجتماعية للشركات، ما سيحقق نقلة نوعية في المجال الثقافة في ظل شحّ ميزانيتها التي لا تذهب معظمها لتغطية رواتب موظفيها ومبانيها المستأجرة، لكن ذلك مشروط بالنزاهة والحوكمة الرشيدة في إدارة الصندوق ومنح الدعم لمستحقيه.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

رحيل يترك أثراً

غاب الروائي الأردني إلياس فركوح (1948 - 2020) في تموز/يوليو الماضي، بعد رحلة طويلة وغنية لأحد الكتّاب الذين ساهموا في تطوير الكتابة السردية في الأردن التي لم يعد فيها الحدث مادة أساسية، وفي توثيق التاريخ المعاصر لمدينته عمّان التي احتلّت شخصياتها الهامشية مكانتها الحقيقية في رواياته، إلى جانب حضوره الوازن قارئاً وناشراً ومترجماً وكاتب مقال اشتبك مع الظواهر الثقافية والاجتماعية لأكثر من أربعة عقود.

إطلالة

في انقلاباته وتحولاته
الحلم العربي

> لا زال الحلم قائماً، لكن هذه المرة كحلم، إذ لا نجد في المقابل بديلاً منه، أسسه وأسماؤه الحسنى لم تتلف رفضاً، فالرفض ينصب على امتلئه الغادرة والمغدورة

عباس بيضون

يمكن لجيل استفاق على قضية فلسطين، أن يتساءل أين صارت «قضية العرب الأولى» والوحيدة في أحيان، وكيف يتطابق الأفق السياسي والثقافي مع ما صارت إليه. إذا جاز أن نتكلم عن «تربية» جيل، بحسب مصطلح عبد القادر الجنابي، عما نقصده في مجال آخر «الثقافة»، فستكون قضية فلسطين، على نحو ما عمودها. كانت هذه القضية وراء الثقافة ووراء السياسة ووراء الفن والأدب. كان الحلم القومي، ولا نخطئ حين نسمّي ما جرّت إليه استعمارات ما بعد سقوط الإمبراطورية العثمانية، وما بدا انتفاضاً عليها، حلماً. الأرجح أن هذا التجاوز والتحليق فوق البناء العشائري والطوائفي والأهلي، لما صار، فيما بعد أقطاراً وبلداناً وأوطانا. الإعلاء إلى ما فوق التركيب الاجتماعي والتاريخي يمكن أن يسمّى، ببساطة، نوعاً من الحلم. نوعاً من التخييل الذي يسبق الواقع ويتقدّم عليه، ويبقى مع ذلك لحمة إيديولوجية تعيش وتتكون حولها، وبإيعازها، حركات وأحداث، سرعان ما تبدو بدون أساس وبدون واقع، أو تنقلب على دعواها الأولى، ليس علانيّة بالطبع، لكن مع استمرار في ادعائها. لا يبدو أن الحلم القومي حيث ساد أثمر مؤسسات ودولاً. مع استمرار الدعوة يتم استرداد نزعات قبلية وقطرية وطوائفية، تحت شعار يبدو، بوضوح منفصلاً عما يجري. لكن الحلم قد تكوّن مع ذلك، له تجلياته الفكرية والفنية التي تتعيش من تعاليه وتساميه.

الحلم، كلما تقدمنا فعلاً في السياسة والواقع، بدا، أكثر فأكثر، حلماً. ذلك بالطبع قد يجعله أكثر إلهاماً، إذ يمكن للحلم، في انقلاباته وتحولاته، أن يتحوّل الى تراجيديات، وإلى ملاحم وأوديسات كونية. هذا ما انقلب إليه الشعر على سبيل المثال.

قد يمكننا أن نرى حداثة هذا الشعر المساوية والمهزومة، إلى هذا النوع من الانفصال والانتكاس والغربة عن التاريخ والواقع اليومي والخيبة العضوية، والتخييل القومي والوطني. خارجه، بدات تخرج من مراوحتها وازدواجيها الشكلي، إلى الاقرار بالوقائع الجديدة وإعلانها جهراً. هذا يتم في الغالب بدون مقابل فكري أو ايديولوجي، إذ إن الحلم القومي تلقّى سيلاً من الانتقادات التي، مع ذلك، لا تدينه ولا ترفضه كلياً.

الإشارة هي فقط إلى حلميته واغترابه عن الواقع وتساميه فوقه. الإشارة بالطبع إلى خيانته المتوترة والانقلاب عليه باسمه غالباً، وما جرّه ذلك من خيانات له أو أخطاء وخطايا دعته وصدرت عنه. أي أن ما بدا، في الغالب، هو مساواة هذا الحلم وسرابية دعاويه وانقلاباته على نفسه، وما انتسب إليه وادّعاه من هزائم ونكسات، أي ما يمكن اعتباره فضيحته الضمنية. فضيحة كائنة فيما تلقّاه من داخله من خيانات وغدر. لا زال الحلم قائماً، لكن هذه المرة كحلم، إذ لا نجد في المقابل بديلاً منه. أسسه وأسماؤه الحسنى لم تتلق رفضاً، فالرفض ينصب على امتلئه الغادرة والمغدورة، الرفض ينصب على مسمياته المزعومة، لكن مسمياته الأولى وأمهاته لا تلقى الدرجة نفسها من الرفض والانتقاد. هكذا ندخل أكثر فأكثر، في نوع من الانفصام بين واقع يرفض أن يتسمى وحلم لا يزال يرفض أن يكون مجرد كلمات.

> واقع يرفض أن يتسمى وحلم لا يزال يرفض أن يكون مجرد كلمات

(شاعر وروائي من لبنان)

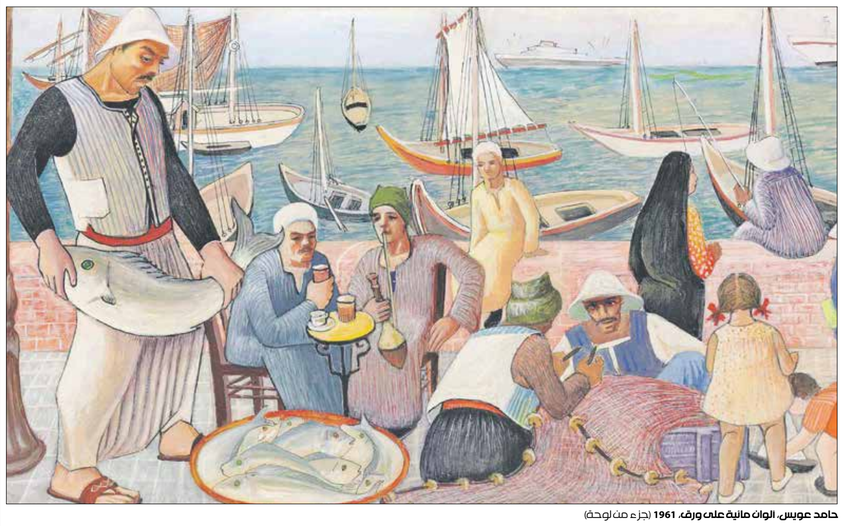

حامد عويس، الوان مائية على ورق، 1961 (جزء من لوحة)

معرض

عصر النهضة التعبير عن المشاعر المتطرفة
من دوناتيلو إلى مايكل أنجلو

> يتناول المعرض، المقام حالياً في «متحف اللوفر» بباريس، التحوّل الذي شهدته فنون النهضة في تقديم الإنسان بأسلوب يعكس حالاته الشعورية ولا يحجبها

باريس ـ **العربي الجديد**

في مطلع عام 2014، اختتم في «اللوفر» معرض «ربيع عصر النهضة» الذي أضاء نشأة حركة ثقافية كبرى شهدتها مدينة فلورنسا الإيطالية في بدايات القرن الخامس عشر مع انزياح متعاظم لتذوّق الفن واستيعاب الجمال الذي لم يعد محتكراً من قبل طبقة اجتماعية بعينها، مع أعمال لورنزو غيبرتي وميكيلوزو ودسيدرو دا ستيغنانو وغيرهم.

في استكمال لتلك المرحلة، يتواصل في المتحف الباريسي معرض «جسد وروح. نحت عصر النهضة الإيطالية من دوناتيلو إلى مايكل أنجلو» حتى الثامن عشر من الشهر المقبل، والذي افتتح نهاية كانون الأول/ أكتوبر الماضي، ويتناول التحوّلات التي شهدتها الفنون في تقديم الناس بأسلوب يعكس حالاتهم الشعورية ولا يحجبها. يعرض القسم الأول لوحة القديسة السويدية بريجيت وهي تتسلم الموافقة على تأسيس دير رهبنتها، وهي من رسم الفنان أوغستينو دانتونيو دي دونتشيو (1418 – 1481) وهي منحوتة على رخام يتضمّن نقوشاً بارزة، والتي تمّ توارثها من حضارات قديمة، لكنها أصبحت مقيّدة بقوانين التشريح ودراسة المنظور. كما يشاهد الزائر نقشاً رخامياً آخر يجسّد أسطورة أخيل وبنتيسيليا والمعركة المحتدمة التي وقعت بينهما وتظهر فيه الأجساد متشابكة في حالة من الغضب والغضب كما نحتها الفنان برتولدو دي جيوفاني (1420 – 1491)، الذي أعاد تقديم العديد من الأساطير الأغريقية والرومانية مستخدماً مادة البرونز بشكل أساسي. ينتقل القسم الثاني إلى الأعمال ذات الموضوعات الدينية التي قدّمها نحاتو تلك الفترة ما بين نهايات القرن الخامس عشر وبدايات القرن السادس عشر بقوة تعبيرية في إبراز الآلام والعذابات التي يبذلها الأنبياء والقديسون من أجل تحريك إحساس المتلقي وإقناعه، ومنها نقش رخامي بعنوان «رثاء المسيح الميت» الذي اشتغله الفنان أنطونيو مانتيغازا (1440 – 1495)، وفيه تصرخ مريم العذراء من الألم وهي تلمس جبين ابنها المسيح.

> تطورات متلاحقة لأفكار وطروحات غيّرت في أساليب الفن وحضوره

ويلفت المنظّمون إلى سيادة أسلوب كلاسيكي أكثر بساطة ورشاقة في وقت لاحق مع منحوتات بيترو بيروجينو (1450 – 1523) وأندريا ديلا روبيا (1435 – 1525) مع صعود ما سمّي حينها المدرسة الأومبريانية التي اعتمدت على عدم المبالغة في إظهار العواطف من قسوة وغضب وحماسة.

تتسلسل الأعمال المعروضة زمنياً وصولاً إلى مايكل أنجلو (1475 – 1564) بمنحوتته «العبد المحتضر» التي يصل ارتفاعها إلى 229 سم، وتعدّ من أكثر أعماله تعقيداً في تجسيده ملامح البطل المكسور الذي يناضل من أجل إطلاق سراحه، حيث دمج فيه بين ثيمتي الموت والحرية المنتظرة، إلى جانب عمله الآخر «العبد المتمرد»؛ العمل الأكثر ديناميكية والذي استغرق نحته قرابة ستّة أعوام، واستطاع من خلالهما التعبير عن أقصى حدود الحركة في أضيق مساحات ممكنة. في القسم الثالث «من ديونيسوس إلى أبولو»، يتأمل الزوّار التطورات المتلاحقة في عصر النهضة من خلال تجاوز الإيماءات والعواطف المتطرفة، والتي أتت تعبيراً عن جملة أفكار وطروحات فلسفية وجمالية واجتماعية غيّرت من أساليب الفن وحضوره.

نقش رخامي للقديسة بريجيت السويدية لـ أغوستينو دي دوتشيو (من المعرض)

فعاليات

مدّدت «دارة الفنون» في عمّان، معرض الفنانة التونسية نادية كعبي-لينكي **مسالة صمود**، الذي كان من المفترض ان يختتم في نهاية الشهر الجاري، حتى 11 شباط/فبراير المقبل، ويضمّ خمسة أعمال تمثل خمسة أشكال من التبعية في الزمن المعاصر، وراسمالية السوق الحر، وسلطة الأنظمة الاقتصادية.

تنطلق عند الرابعة من مساء بعد غدٍ الثلاثاء في **المتحف العربي للفن الحديث: متحف** في الدوحة سلسلة دروس الفن التي يقدّمها الفنان العراقي **إسماعيل عزام** (1962). تنتظم الدروس يومي الثلاثاء والاربعاء من كلّ اسبوع خلال الموسم الجديد للمتحف، وسيتم التركيز خلالها على تقنيات جديدة في الرسم والبورتريه باستخدام قلم الرصاص والفحم والالوان الزيتية والمائية.

ضمن فعاليات «مهرجان مسرح الطفل وفنون» **العرائس** التي تتواصل حتى الثلاثين من الشهر الجاري، تُعرض صباح اليوم الاحد في مدينة الثقافة بتونس العاصمة مسرحية **حصان الريح** لـ **جمال العروي**، بينما تُعرض غداً مسرحية خيال الظل **بوبا** (الصورة) لـ **عامر المثلوثي**، وعرض **بياض الثلج** لـ **فرحات الجديد**.

ينظم متحف الفن الإسلامي بالتعاون مع «قصر البارون» إصبان في مصر الجديدة، معرضاً بعنوان **كنوز من رصاص**، حالياً ويستمر حتى 13 كانون الثاني/ يناير المقبل، بمناسبة بمرور 117 عاماً على افتتاح «متحف الفن الإسلامي» بباب الخلق. يضم المعرض منحوتات انجزها الفنانون المشاركون على اقلام الرصاص.